الفصل الأول
الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيـــا

ينقسم هذا الفصل لأربعة مباحث:
المبحـث الأول: الطـرق الصـوفية ومقاومة العلمانية الكمالية
المبحـــث الثـــاني: الســـليمانيون وتحـــدي الحفـــاظ علـــي العلـــوم الإسلامية
المبحـــث الثالـــث: النورســـيون وتحـــدي إنقـــاذ الإيمـــان ونصـــرة الإسلام
المبحـــث الرابـــع: المثقفـــون الإســـلاميون مـــن الاغتـــراب إلـــي الاختراق

الفصل الأول:
الإسلام والتيارات الاجتماعية والفكرية في تركيا

طرح انتصار حزب " العدالة والتنمية " الكبير في انتخابات 3 نوفمبر 2002 م البرلمانية ما أطلق عليه " **بولنت أراس وبولنت جوكاي " بداية جديدة لتركيا الإسلام يقع في القلب منها "**، فكما أشارت دراستهما فإن انتقال التصويت من الأحزاب التقليدية لحزب جديد جذوره تعود للإسلام طرح أسئلة جوهرية من مثل: هل تركيا ستصبح دولة أكثر إسلامية، وماذا وراء النصر الانتخابي؟ ولماذا سقطت الأحزاب التقليدية؟ وكيف ستؤثر نتائج الانتخابات علي العلاقات مع أوروبا؟ ولكن السؤال الأكثر تداولا كان حول **العلاقة بين الإسلام والديموقراطية الليبرالية بمعني هل يمكن أن تكون هناك ديموقراطية في دولة إسلامية وهو مايتعارض مع جذور التصور الغربي للعالم الإسلامي**[1].

(1) Bulent Aras and Bulent Gokay, Turkey After Copenhagen: Walking a Tightrope, Journal of Southern Europa and The Balkans, volum 5, Number2, August2003, p149 - 150.

حيث أشار الباحثان إلي أن هناك قرونًا عديدة من سوء الفهم والجهل والتبسيط من جانب الغرب للإسلام والتي صورته علي أنه عنوان للتعصب وأن السلطة السياسية في الإسلام هي تعبير عن الاستبداد والتقاليد الإسلامية عودة للوراء ويجادل الباحثان في أن الإسلام هو تعبير عن قدر عال من الفردية وأنه ليس بالضرورة متعارضا مع الحداثة. بل إن هناك اتجاهات قوية في العالم الإسلامي تفسر الإسلام بطريقة ليبرالية، كما كان الحال في الدولة العثمانية التي اعتبرت أن الدين هو تعبير عن المجال الخاص بينما النظام الاجتماعي والقانوني الذي كان مستمداً من الإسلام كان لديه مرونة عالية في التعاطي مع سياسات الدولة وكانت تفسيرات القانون متفقة ومتوائمة مع السلوك الليبرالي

وراجع: Op. cit. P. 150.

وسوف نلاحظ أن العثمانية الجديدة التي تعد تعبيراً عن أحد ملامح الإسلام السياسي التركي في الثمانينات هى استدعاء للخبرة العثمانية التي تعبر عن التوفيق بين الحياة الخاصة والعامة وبين

وفي الواقع فإن **انتقال التأثير الإسلامي من الأطراف إلي المركز مع صعود حزب العدالة والتنمية جاء نتيجة طبيعية لفشل الخيار العلماني الذي قدمه " أتاتورك " والنخبة وثيقة الصلة به لتركيا كطريق لتحديثها وتغريبها**، وهو خيار لم يعر غالبية الشعب التركي أي اهتمام أو إصغاء لصوته، ومن ثم اعتمد علي قوة الجيش لفرض ما تريده هذه النخبة وحدها ومن هنا تعمقت الفجوة بين الجماهير التي همشت لصالح مركز مثلته نخبة علمانية قابضة بقوة علي السلطة عن طريق مؤسسات بيروقراطية في منتهي العنف.

تحولت العلمانية إلي مايشبه الدولة الدينية في تركيا، فحرية التعبير عن المعتقد والضمير الديني مثل حق المرأة في ارتداء الحجاب أصبح سببا لمنع قبولها في الجامعة أو مؤسسات الخدمة المدنية، كما أن القومية التركية الجديدة والتي أنكرت الميراث العثماني ذا الطابع الإسلامي مثلت مشكلة كبيرة في قدرتها علي التواصل أو الفهم من قبل الغالبية المسلمة في البلاد.

ومن هنا فإن الشرعية والسلطة من قبل الدولة الكمالية الجديدة والتي بدا أنها تبدأ من نقطة الصفر أسست علي صيغة صراعية بين المركزالعلماني وبين الهامش عميق التدين والتقليدية، وأصبحت أطروحة " أتاتورك " علي المجتمع التركي والمستندة إلي القوة لفرض التحديث موضعاً للتساؤل والشك بل والرفض علي نطاق واسع بين

الدين والدولة وبين الإسلام والغرب وبين الدولة والمجتمع وبين الأقليات والأغلبية ففيها الكثير من الإجابات التي تعبر عن أزمة تركيا المعاصرة وأنا أزعم أن تقاليد حزب العدالة والتنمية هي تعبير معاصر وبشكل واضح عن التقاليد العثمانية المحافظة التي تحترم القيم الدينية ولكنها هي ذاتها ليست دينية.

التيارات والجماعات المكونة للمجتمع التركي(1).

هذه التيارات الرافضة للعلمانية الكمالية عبرت عن نفسها كقوة اجتماعية وسياسية واقتصادية وفكرية وبأشكال مختلفة تراوحت بين استخدام القوة والعنف كما هو الحال مع انتفاضة الشيخ سعيد الكردي سنة 1925م والتي استدعت قوات الجيش لإخمادها وبين العمل من داخل النظام السياسي مستغلة المساحات التي منحتها الأحزاب في فترة التعددية السياسية بداية من عام 1946 للتيارات الإسلامية وعبرت عن معارضتها للنظام الكمالي من داخلها، ثم تكامل التعبير السياسي لهذه القوي عبر بنائها لأحزاب تعبر عنها بشكل مستقل عن الأحزاب الأخري منذ العام 1969 م والتي أعلن فيها " أربكان " عن تأسيسه لحزب النظام الوطني.

وعبرت الطرق الصوفية عن نفسها بشكل انسحابي سري بدت فيه وكأنها تحافظ علي الهوية الإسلامية من خطر التهديد الذي تواجهه مع الهجمة الكمالية ولا تزال تمثل إلي اليوم أحد معالم قوة الإسلام في تركيا، و عبرت هذه القوي أيضاً عن نفسها في المجال الفكري والحضاري كما هو الحال بالنسبة للتيار الذي عبر عنه " نجيب فاضل "، " وسزائي قراقوج " و " عصمت أوزال " وغيرهم.

فهناك تعبيرات متعددة عن الإسلام في تركيا يمكن القول أنها أوجه لظاهرة واحدة ولكن كل وجه له لون وتوجه ومنهج في التعاطي مع الواقع ربما يختلف أو يتقاطع أو حتي يتعارض مع الوجوه الأخري، ولكنها تصدر جميعها عن موقف واحد من " الكمالية " باعتبارها خطراً

(1) Op. cit. p. 155.

يتهدد الإسلام، وقد استطاعت هذه التيارات والقوي الاجتماعية والفكرية التي تتخذ من الإسلام قاعدة لمعارضة سياسات الدولة وحاضنة لحماية هويتها ووجودها من الاستئصال أن تنتقل من الهامش إلي القلب عبر بناء نخبة إسلامية جديدة تداولت المواقع من النخب العلمانية التي أصبحت غير قادرة علي أن تؤسس قاعدة للتلاحم الاجتماعي يعبر عن الهوية والشرعية والمصلحة القومية لتركيا[1] ، **وتبدل المشهد السياسي التركي من حصار الإسلام ومحاولة استئصاله في بداية القرن الماضي إلي محاصرة العلمانية والأتاتوركية في تركيا وتراجعها**[1].

ونحن نتعقب كيف أثر الإسلام في التيارات الفكرية والقوي الاجتماعية والسياسية التي قاومت العلمانية الكمالية؟ وماهي الأدوات التي استخدمتها في المواجهة؟ وكيف تحول الإسلام من الهامش بل ومحاولة الإلغاء إلي المركز بحيث أصبح هو قلب النقاش والجدال الفكري والسياسي والمجتمعي في تركيا والعالم الإسلامي.

* * *

(1) عن أزمة العلمانية التركية راجع " أرتو جرول كيركو، **أزمة الدولة التركية في رؤي مغايرة**، القاهرة، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، ع 2، مايو، 1997، ص 4 - 7 وأيضاً راجع هاينتس كرامر، **تركيا المتغيرة تبحث عن ثوب جديد**، التحدي الماثل أمام كل من أوروبا والولايات المتحدة، تعريب فاضل جتكر، العبيكان، 1422 هـ - 2001 م حيث يقول " الكمالية ما هي إلا قاعدة أيديولجية ولي زمانها وغير صالحة لإدارة نظام ديموقراطي قائم علي الانفتاح وتطوير دولة قومية موحدة ذات مجتمع متعدد الأعراق والثقافات، ص 17 - 18 حيث عنون لهذا الجزء من الكتاب " اهتراء النموذج الكمالي ".

(1) لا يعرف الأتراك مصطلح الكمالية ولكنهم يعرفون مصطلح الأتاتوركية والمحللون الأجانب لتركيا الحديثة هم الذين ابتدعوا مصطلح الكمالية.